المبحث الثالث

خصائص الاسلوب القرآني

يقصد بالاسلوب هو الطريقة الكلامية التي يسلكها المتكلم في تأليف كلامه واختيار ألفاظه، او بعبارة أخرى:هو المذهب الكلامي الذي انفرد به المتكلم في تأدية معانيه ومقاصده من كلامه.

أما المقصود بأسلوب القرآن:هو طريقته التي انفرد بها في تأليف كلامه واختيار الفاظه، ولا غرابة أن يكون للقرآن أسلوبه الخاص به، فان لكل كلام الهي أو بشري أسلوبه الخاص به، بل تتعدد الأساليب في الشخص الواحد بتعدد الموضوعات.

<u>الفرق بين الاسلوب والمفردات والتراكيب:</u>

الأسلوب هو غير المفردات والتراكيب التي يتألف منها الكلام، لأن الأسلوب هو الطريقة التي ينتهجها المؤلف في اختيار المفردات والتراكيب لكلامه، ولذلك اختلفت الأساليب باختلاف المتكلمين من ناثرين وناظمين، مع أن المفردات التي يستخدمها الجميع واحدة، والتراكيب(الجمل)واحدة، وقواعد صوغ المفردات وتكوين الجمل واحدة، وهذا هو السر في كون القرآن لم يخرج عن معهود كلام العرب.

ومثال الفارق بين الاسلوب والالفاظ والتراكيب مثل صناعة الخياطة والصيدلة او تحضير العقاقير، فالخياطون يتمايزون بينهم في جودة حرفة الخياطة، لأن المادة القماش هي نفس المادة ولكن يمتاز هذا عن ذاك بحسن التفصيل والخياطة عن الآخر، وكذلك الصيادلة يمتاز احدهم عن الآخر من حيث تركيب تلك العناصر والعقاقير.

وان مفردات اللغة منها متآلف في حروفه او متنافر، وواضح الدلالة او خفي، ومنها عام او خاص، مطلق او مقيد، ظاهر او مضمر، حقيقة او مجاز، متآلف الكلمات او متنافرها، واضح المعنى او مقيد، وفيها تقديم او تأخير الى غير ذلك من خصائص الالفاظ والتراكيب.

وهذه المتنوعات من الكلام ليست يحسن استعمالها مطلقا، ولا شيء منها يسوء استعماله مطلقا، بل لكل مقام مقال، فما يحسن في موضع قد يقبح في موضع آخر، وما يجب في مقام قد يمتنع في مكان آخر.

فالأمر يرجع الى حسن الاختيار من هذه المتنوعات بحسب ما يناسب الأحوال والمقامات، فللأذكياء خطابهم وكذا الأغبياء، وهكذا للعقائد خطابها الخاص وللجدل والوعد والوعيد هكذا.

<u>خصائص أسلوب القرآن الكريم:</u>

لا يمكننا الاحاطة او تحديد خصائص اسلوب القرآن او مزاياه التي توافرت فيه فجعلته معجزا، فما نذكره ما هو الا كقطرة من بحر زاخر، فالاحاطة بخصائص القرآن ممتنعة، وما نذكره ما هو الا على سبيل التمثيل.

الخاصية الأولى:مسحة القرآن اللفظية:

ويقصد بها تلك السمة التي تتجلى في جماله اللغوي، من حيث رصف حروفه وترتيب كلماته، ومخارج حروفه، ولذلك يشعر القاريء والسامع بلذة وجلالة وخشوع تنبعث من وحي ذلك الكلام.

الخاصية الثانية:ارضاؤه العامة والخاصة:

فالقرآن لا يحرم منه أحد، اذا قرأته العامة أحسوا جلاله وذاقوا حلاوته، وفهموا منه على قدر استعدادهم ما يرضي عقولهم وعواطفهم، واذا قرأته الخاصة أحسوا جلاله، وذاقوا منه أكثر مما يفهمه العامة منه، وليس كذلك كلام البشر.

الخاصية الثالثة:ارضاؤه العقل والعاطفة:

فأسلوب القرآن يخاطب العقل والقلب معا، ويجمع بين الحق والجمال، ومن ذلك آيات اقامة الدليل على البعث والاحياء والاعادة في الآخرة، قال تعالى:(ومن آياته أنك ترى الأرض خاشعة فاذا أنزلنا عليها الماء اهتزت وربت ان الذي أحياها لمحيي الموتى انه على كل شيء قدير).

الخاصية الرابعة:براعته في تصريف القول:

ويقصد به الثروة في أفانين الكلام، وذلك بأن يورد المعنى الواحد بألفاظ وطرق متعددة تنقطع دونها انفس البلغاء والفصحاء، ومن ذلك تعبيره عن طلب الفعل من المخاطبين بوجوه عدة متنوعة منها:

ـ الاتيان بمادة الأمر صريحة، مثل قوله تعالى:(ان الله يأمركم أن تؤدوا الامانت الى أهلها).

ـ الاخبار بأن الفعل مكتوب عليهم، قال تعالى:(كتب عليكم الصيام).

ـ الاخبار بكونه على الناس، قال تعالى:(ولله على الناس حج البيت).

ـ الاخبار عن الفعل بأنه خير، قال تعالى:(ويسألونك عن اليتامى قل اصلاح لهم خير).

ـ طلب الفعل بصيغة الأمر، = = :(اقيموا الصلاة وآتوا الزكوة).

وهكذا تتعدد الصيغ لتؤدي معنى الأمر والالزام.

وكذلك في النهي تتعدد الصيغ ولا تقف عند النهي الصريح، اذ قد يرد النهي بصيغة بيان سوء عاقبة الفعل، او التهديد والوعيد للفاعل بغضب الله تعالى وعذابه وسوء عاقبته.

الخاصية الخامسة:جمعه بين الاجمال والبيان:

وهاتان الخاصيتان متقابلتان لا يجتمعان في كلام واحد من لبشر، الا انهما اجتمعتا في القرآن، فاذا قرأت او سمعت جملة فاذا هي بينة مجملة، بينة لوضوح معانيها، واذا امعنت النظر فيها لاحت معاني جديدة كلها صحيحة او تحتمل الصحة، وكلما امعنت النظر ازددت من المعاني والأسرار أكثر.قال تعالى:(وآية لهم الليل نسلخ منه النهار فاذا هم مبصرون*والشمس تجري لمستقر لها ذلك تقدير العزيز العليم*والقمر قدرناه منازل حتى عاد كالعرجون القديم)ففي الآيات اجمال لنواميس كونية، ولكن الآيات فيها رحابة وسعة لدراسة تلك الظواهر الكونية من قبل المتخصصين.

الخاصة السادسة:ترابط الأجزاء وتناسب السرد:

وذلك ما نجده في جودة سبك القرآن واحكام سرده، فبالرغم من تنوع مقاصده وتلون موضوعاته، الا اننا نجد ذلك التآخي بين كلمات جمل القرآن، وتناسق جمال السور، وتناسب السورة مع السور الأخرى، يبدو كأنه سبيكة واحدة مع أنه تنزل خلال مدة ثلاث وعشرين سنة على الأصح.قال تعالى:(قرآنا عربيا غير ذي عوج)

الخاصية السابعة:القصد في اللفظ مع وفائه بالمعنى:

وذلك اننا نجد في كل جمل القرآن بيانا وافيا بحسب ما تحتاجه النفوس البشرية من الهداية الالهية، دون أن يزيد اللفظ على المعنى، أو يقصر عن الوفاء بحاجات الخلق من الهداية، فلا تجد لفظا دخيلا أو زائدا على المعنى. مثل قوله تعالى:(فاستقم كما أمرت، ولا تتبع أهواءهم)

الخاصية الثامنة:الفخامة والقوة والجلال:

وهذه الخاصية يكتسبها القران من انتقاء ألفاظ لا امتهان فيها ولا ابتذال، ومن استخدام ألفاظ التوكيد، والقرآن عندما يورد القصة يبعث فيها الحياة، ويجسد الأمور المعنوية في صور شاخصة متحركة تكاد تشاهدها.مثل قوله تعالى:(ان الأبرار يشربون من كأس كان مزاجها كافورا*عينا يشرب بها عباد الله يفجرونها تفجيرا*يوفون بالنذر ويخافون يوما كان شره مستطيرا*ويطعمون الطعام على حبه مسكينا ويتيما وأسيرا*انما نطعمكم لوجه الله لا نريد منكم جزاءا ولا شكورا)الخ الآيات{الانسان ٥-١٣}

الخاصية التاسعة:التصوير:

عندما ينقل القرآن الحوار أو يورد القصة يبعث فيها الحياة، ويجسد فيها الصور المعنوية في صور شاخصة متحركة تكاد تشاهدها، مثل قوله تعالى:(ففتحنا ابواب السماء بماء منهمر*وفجرنا الأرض عيونا فالتقى الماء على أمر قد قدر).فهو ينقل الحقيقة مصورة، وأن الماء ليس ماء عاديا، اذن هو منهمر من السماء ومتفجر من الأرض.

الخاصية العاشرة:تلوين الأسلوب بين اللين والقوة:

يتسم الاسلوب القرآني باللين والهدوء عندما يتطلب الأمر تأملا وتدبرا، كما في الآيات التي تدعو الى اعمال الفكر، وفي القصص والأحكام، كقوله تعالى:(وكذلك نري ابراهيم ملكوت السموات وليكون من الموقنين*فلما جن عليه الليل رأى كوكبا قال هذا ربي فلما أفل قال لا أحب الآفلين)الخ الآيات{الانعام٧٥-٧٦).

وحينا يتدفق الأسلوب ويندفع في جمل قصيرة ، مثيرا بذلك الانفعال السريع العنيف، وذلك حينما يتطلب هجوم الحق على الباطل بعنف مثير، قال تعالى:(ذرني ومن خلقت وحيدا، وجعلت له مالا ممدودا، وبنين شهودا، ومهدت له تمهيدا، ثم يطمع أن أزيد، كلا انه كان لآياتنا عنيدا، سأرهقه صعودا) الخ الآيات

او عندما يتطلب الأمر اسراعا في القيام به، كما في قوله تعالى:(يا أيها المدثر، قم فأنذر، وربك فكبر، وثيابك فطهر)الخ الايات

وهكذا تتنوع أساليب القرآن بحسب الحال والمقام، فجاءت آياته وسوره وعباراته ومفرداته مؤتلفة منسجمة فيما بينها، لا غرابة ولا ثقل ولا تنافر ولا اضطراب فيما بينها، حقق هذا الأسلوب ذلك القدر السامي الذي لا يدانيه كلام البشر، مما أعجز بلغاء العرب وفصحائهم أن يعارضوه ويأتوا بمثله، ذلك هو كلام الله تعالى المعجز الدال على صدق نبوة نبينا الكريم ﷺ

هذه لمحة عامة ومختصرة جدا عن أهم خصائص التعبير القرآني وأسلوب القرآن الكريم الذي أعجز العرب، فكان معجزة رسولنا الكريم الخالدة الدالة على صدق دعوته وأنه رسول الله تعالى.